سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: ﴿١٠﴾ **أمور تنافي التوحيد (٢) دعاء غير الله، وسب الدهر والريح ونحوها من المخلوقات**

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

١٢/ربيع الآخر/١٤٤٥هجرية

سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: ﴿١٠﴾ **أمور تنافي التوحيد (٢) دعاء غير الله، وسب الدهر والريح ونحوها من المخلوقات**

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

١٢/ربيع الآخر/١٤٤٥هجرية

محفوظة جميع الحقوق

اسم الكتاب: سلسلة خطب التوحيد
المؤلف: أبو عبدالرحمن رشاد بن أحمد الضالعي
مقاسات الكتاب: ١٧×٢٤
تاريخ التنسيق: ١٤٤٥هـ
الطبعة: (الأولى)
دار الحديث السلفية - الضالع - اليمن

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

سلسلة خطب التوحيد

أمور تنافي التوحيد٢

إنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعْلَمُوْا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها الناس، كان مما تقدم الحديث عنه ذكرُ بعض الأمور التي تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ والتي يكون فاعلها مخالفًا لهذا الأمر العظيم.

ومما ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ أيضًا:

دعاء غير الله سبحانه وتعالىٰ في أمور لا يقدر عليها إلا الله، دعاء غير الله علىٰ وجه التعبد، يتعبد بدعاء غير الله ويتذلل في ذلك، وهكذا إذا كان في أمور خارجة عن قدرة المخلوق، في أمور لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالىٰ، فإن دعاء غير الله فيها ينافي توحيد الله تعالىٰ بل هو من الشرك الأكبر، وهذا هو أصل شرك الناس، وأكثر ما يدخل الشرك علىٰ الناس من هذا الباب الخطير، دعاء غير الله -جل وعلا-، فالدعاء عبادة لله سبحانه وتعالىٰ، دعاء الله عبادة من أعظم العبادات، جاء في سنن أبي داود(١٤٧٩) والترمذي(٣٢٤٧) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي أي عن دعائي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة غافر:٦٠].

فالدعاء لله تعالىٰ عبادة عظيمة فلا يقدر علىٰ كشف الكروب وتنفيسها إلا الله سبحانه وتعالىٰ، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة النمل:٦٢]، لا يقدر علىٰ هذه الأمور إلا الله سبحانه وتعالىٰ، فإذا كان كذلك فإن هذا الأمر وهو الدعاء عبادة عظيمة لله، ومن المعلوم أن صرف العبادة لغير الله شرك، ولذا نهىٰ الله سبحانه أن يُدعىٰ غيره فقال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ

عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة يونس:١٠٦]، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الزمر:٣٨]، فلا يقدر علىٰ كشف هذه الأمور إلا الله، ولذا نهىٰ الله أن يُدعىٰ غيره ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الجن:١٨]، لا تدعوا أحداً مع الله لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً ولا من الجن والشياطين ولا من الأولياء والصالحين ولا من سائر المخلوقين، ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾﴾.

أخبر الله تعالىٰ أن من دعا غير الله كفر ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة المؤمنون:١١٧]، فسمىٰ الله الداعين لغيره كافرين، وأخبر الله تعالىٰ أن هذا فعل المشركين ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة العنكبوت:٦٥] أخلصوا في الدعاء لله إذا ركبوا الفلك أي السفن في البحر وهاجت الرياح واشتدت الأمواج توجهوا إلىٰ الله ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦٥]، يشركون بدعاء غير الله مع الله، بعد أن أخلصوا الدعاء لله تعالىٰ وقت الشدائد، وعلموا أنه لا ينجيهم إلا الله فلما نجوا إلىٰ البر وصاروا في الرخاء أشركوا مع الله غيره في الدعاء، فهذا فعل المشركين،

ولذا بين الله تعالىٰ في كتابه قبح هذا الأمر -دعاء غير الله تعالىٰ- وأن الداعي لا يحصل علىٰ شيء ولا يستفيد منهم شيئًا بل لا يحصل له إلا الضرر، أخبر الله تعالىٰ أن من يفعل ذلك فهو أضل الناس وأخسر الناس ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [سورة الأحقاف:٥-٦]، تأمل كيف أخبر الله عن حال هؤلاء، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ أي لا أحد أضل من هؤلاء ﴿مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾، فلو بقي يدعوه من اليوم إلىٰ يوم القيامة لم يستجب له، لأنه غافل عن دعائه، لا يسمعه ولا يعرفه ولو سمعه لم يقدر أن يصنع له شيئًا، ومع ذلك إذا حشر الناس يوم القيامة كانوا لهم أعداء، فهذا الذي دعوته في الدنيا من دون الله يعاديك يوم القيامة ويتبرأ منك ويرد اللائمة عليك، ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [سورة الأحقاف:٦]، يكفرون بعبادتهم لهم ودعائهم لهم من دون الله سبحانه.

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣﴾ [سورة فاطر:١٣]، القطمير هو الغشاء الأبيض الرقيق الذي يكون علىٰ نواة التمر، فهذا الذي تدعوه من دون الله لا يملك هذا القطمير، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [سورة فاطر:١٤]، إن دعوته في الدنيا لن يسمعك، ولو سمع علىٰ

سبيل الفرض والتقدير لا يملك لك شيئاً، ﴿وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ [سورة فاطر:١٤]. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [سورة الأعراف:١٩٤]، هم عباد أمثالكم، خلق من خلق الله كمثلكم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [سورة الأعراف:١٩٤]، فإذاً كل هذه الآيات يبين الله تعالىٰ فيها قبح هذا الفعل، وأنه لا ينسجم مع دليل ولا مع عقل ولا مع فطرة، بل الأدلة تأباه والعقل الصحيح يأباه والفطرة السليمة تأباه، كلُّها تأبىٰ دعاء غير الله.

هذا الأمر الذي صار اليوم ضارباً بأطنابه في أوساط هذه الأمة، والذي هو أكثر شرك الناس اليوم يدعون غير الله ويسمونه توسلاً، يدعون الأولياء الذين يزعمون أنهم أولياء، يدعون المقبورين يدعون الأنبياء يدعون الملائكة، ويسمون هذا توسلاً يتوسلون بهم إلىٰ الله، وقد أجمع العلماء علىٰ أن من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم أنه كافر، فهذا الذي جعل بينه وبين الله وسائط ارتكب ما هو كفر بإجماع أهل العلم.

كم لهذا الأمر من دعاة ومن مُزيِّنين؟ كم تجري هذه الكلمات علىٰ ألسن كثير من الناس؟ يدعون غير الله سبحانه وتعالىٰ بها، **فمنهم** من يدعو الرسول وتراه يقول كثيراً: (يا رسول الله)، إذا حصل له أمر دعا الرسول. **ومنهم** من يدعو الحسين، وإذا حصل له أمر قال: (يا حسين). **ومنهم** من يدعو بعض الأولياء المقبورين. **منهم** من يدعو بعض الملائكة، وهكذا عَدِّد في حال الناس كثيراً من ذلك، دخل الشيطان علىٰ بني آدم من

هذا الباب أعظم مدخل فزين لهم الشرك في صورة التوسل بالصالحين وفي صورة التقرب بجاه هؤلاء الصالحين إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، فوقعوا في الشرك الأكبر الذي وقع فيه كفار قريش الذين قال الله سبحانه وتعالىٰ عنهم أنهم قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾ أي ما نعبد هذه الآلهات ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣]، فهم لم يعبدوا هذه الآلهات لذاتها ولكنهم عبدوها لتقربهم إلىٰ الله فمن دعا غير الله ليقربه إلىٰ الله فقد وافق المشركين في شركهم والعياذ بالله.

ومن دعاء غير الله تعالىٰ الذي هو شرك: الاستعاذة بغير الله أو الاستغاثة بغير الله فإن هذه عبادات﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ [سورة الأعراف:٢٠٠]، أمر الله بالاستعاذة به، وهكذا الاستغاثة تكون بالله سبحانه ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ [سورة الأنفال:٩]، ﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ﴾ [سورة الأحقاف:١٧]، والاستعاذة: هي طلب دفع الضر قبل أن يقع، يستعيذ ليدفع عنه الضر والشر قبل أن يقع، والاستغاثة: طلب رفع الضر بعد وقوعه، فيستغيث ليرفع ما وقع به من الشر، فمن استعاذ بغير الله أي طلب من غير الله أن يعيذه وأن يدفع عنه شراً يتوقع حصوله، أو استغاث بغير الله بأن سأل من غير الله أن يرفع ضراً أصابه وبلاءً نزل به؛ فقد وقع في الشرك، كما كان المشركون يستعيذون بالجن، أخبر الله تعالىٰ عنهم بقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦﴾ [سورة الجن:٦]، رجال من الإنس يخافون من الجن ويعظمونهم، فكانوا يستعيذون بهم وكانوا إذا نزلوا وادياً أو صحراء في ليل أو نحو ذلك وهم مسافرون قالوا: (نعوذ بسيد

هذا الوادي من سفهاء قومه)، قال الله تعالىٰ: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾، قال بعض المفسرين: زادت الإنسُ الجنَ رهقًا أي تعاليًا وكبراً وتعاظمًا حين رأوا أن بني آدم يخافونهم ويستعيذون بهم تعظَّموا في أنفسهم. وقال بعض أهل العلم: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ أي: زادت الجنُّ الإنسَ رهقًا أي خوفًا وذعراً، فكم من الناس من يستعيذ بالجن ومن يخافهم حتىٰ يبلغ في خوفه لهم أن يستعيذ بهم ويدعوهم من دون الله تعالىٰ.

وهكذا الاستغاثة إذا نزل به بلاء كم من أناس يدعون المرضىٰ ويدعون أصحاب البلاءات ويدعون من نزلت بهم الكروب إلىٰ التمسح بالمقبورين أو التقرب لهم بالقربات أو دعائهم من دون الله يستغيثون بهم من دون الله سبحانه وتعالىٰ، وهذا هو الشرك بعينه وهو موجود بكثرة اليوم في أوساط من يدَّعي الإسلام، ليس أمراً مفقوداً -وللأسف- بل موجود بكثرة وله من يزينه ومن يدعو إليه ومن يلبس علىٰ الناس فيه، وهو عين شرك المشركين الذين نزل القرآن فيهم.

عباد الله، هذا الأمر العظيم يجب علىٰ الإنسان أن يتعلمه وأن يحذر من الوقوع فيه فإنه من الشرك الصريح بالله -جل وعلا-، ولذا نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ علَّمه الصغير والكبير، علَّمه المتعلم والجاهل، وكان يحرص علىٰ تعليمهم هذا الأمر لما يعلم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من سرعة اتباع الناس للشيطان فيه، جاء في سنن الترمذي(٢٥١٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال له: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ،**

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ». فعلَّم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هذا الغلام ابن عمه عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه العقيدة العظيمة، وحذَّره من دعاء غير الله: بسؤال غير الله والاستعانة بغير الله وكلُّها من الدعاء.

هكذا جاءه يومًا أعرابي كما في سنن أبي داود(٤٠٨٤) اسمه جابر بن سُليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، -أي كلما قال قولاً امتثلوه- لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ. قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنَا رَسُولُ اللهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ أَوْ فَلَاةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ**». انظر كيف يعلم الرسول هذا الأعرابي في حدود علمه وفي حدود ما يفهم، هو يفهم الزرع ويفهم الإبل ويفهم المطر والشدائد فعلمه أن يدعو الله بخطاب يناسب حاله وفهمه، قال: (أنا رسول الله الذي) أي الله -جل وعلا- هو الذي (إذا أصابك ضر -مرض أو بلاء أو فقر أو شدة- فدعوته كشفه عنك، -رفع عنك الضر- وإذا أصابك عام سنة -أصابك قحط وجّدْب وقلة مطر وعدم نبات- فدعوت الله أنبتها لك، وإذا كنت في صحراء أو فلاة من الأرض فضلت راحلتك -ضاعت ناقتك- فدعوته ردها إليك)، فعلمه رسول الله ﷺ التوحيد في أهم أبوابه وهو دعاء الله تعالىٰ، وعلمه بأمور يفهمها ويستوعبها ويدركها عقله، والمهم أن يعلمه رسول الله ﷺ ذلك وكان من أهم ما علمه هذه العبادة العظيمة وأنها لا تصرف إلا لله.

فإذا نزل الضر، أصابتك الشدائد، أصابتك الأمراض، ضاع مالك، فُقِد شيء مما تملك؛ الجأ الىٰ الله، لا تلجأ إلىٰ غير الله، ولا تدعُ غير الله -جل وعلا-، فهذا هو التوحيد لله سبحانه وتعالىٰ.

نسأل الله تعالىٰ أن يستعملنا في طاعته، والحمد لله رب العالمين.

***

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، من الأمور التي تنافي التوحيد أيضاً: **أن يعترض الإنسان بالسب والتقبيح لبعض مخلوقات الله تعالىٰ**، وقد ورد في الأدلة أمثلة من ذلك، فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**».(١)

وجاء في رواية لمسلم(٢٢٤٦ -٥-): «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ**». وفي رواية لمسلم(٢٢٤٦ -٤-): «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ**»، وهكذا جاء في سنن أبي داود(٥٠٩٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللهَ خَيْرَهَا وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا**».

فهذه الأحاديث فيها أمثلة علىٰ المراد، نهىٰ النبي ﷺ عن سب الدهر، والدهر هو الحياة هو الأيام والليالي هو الليل والنهار، ونهىٰ نبي الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن سب الريح؛ لأن الدهر والريح من مخلوقات الله، والله تعالىٰ هو الذي يُسيِّرها، والله سبحانه وتعالىٰ خالقها ومدبرها.

قال أهل العلم: فمن سب هذه الأمور ونحوها من المخلوقات وأراد بها سب الله والاعتراض عليه سبحانه وتعالىٰ أو السب لله تعالىٰ كفر؛ لأنه في الحقيقة يسب الله -

---

(١) رواه البخاري(٤٨٢٦)، ومسلم(٢٢٤٦ -٢-).

جل وعلا-، ومن سب هذه الأمور واعتقد أنها هي الفاعلة هي المُحْدثة للأشياء فقد أشرك بالله -جل وعلا-؛ لأنه اعتقد أن غير الله يفعل وأن لغير الله تعالىٰ تصرفًا كما كان المشركون يعتقدون أن الدهر هو الذي يهلكهم، ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [سورة الجاثية:٢٤]، فمن كان كذلك فقد أشرك بالله -جل وعلا- غيره.

ومن سب هذه الأمور تسخطًا وعدم رضًا بما أجراه الله تعالىٰ بها فقد اعترض علىٰ أمر الله ووقع في أمر محرم كم تسمع اليوم من الناس من يسب الحياة؟ من يسب الدهر؟ من يسب العيش؟ من يسب الوضع الذي هو فيه؟ أو يسب بعض مخلوقات الله من شمس وقمر وريح وأمثالها!؟، فهذا أقل أحواله أن يكون مرتكبًا لأمر محرم؛ لأن فيه اعتراضًا علىٰ الله تعالىٰ في تسيير هذه المخلوقات.

أما لو أراد أنها مشاركة لله تعالىٰ أو أنها هي الفاعلة هذه الريح هي التي فعلت أو هي التي دمرت أو هي التي أغرقت، أو الدهر هو الذي فعل بنا وهو الذي أوصلنا إلىٰ هذا الأمر وهو الذي نشكو منه يعتقد أنه فاعلٌ محدِثٌ مع الله فقد وقع في الشرك والعياذ بالله سبحانه وتعالىٰ.

فهذه من الأمور التي تخالف توحيد الله تعالىٰ، والتي يجب توحيد الله -جل وعلا- فيها، فيعتقد المؤمن أن الله تعالىٰ هو خالقها ومسيِّرُها ومُدبِّرُها لا تَصَرُّف لها إلا بأمر الله ولا تعمل شيئًا، بل هي مُسيَّرة لله سبحانه وتعالىٰ، وتسيير الله تعالىٰ لها كله خير وحكمة منه سبحانه وتعالىٰ قد لا يعلمها العباد.

فلا يجوز الاعتراض عليها بالسب أو الاعتراض علىٰ ما جعله الله تعالىٰ بها، فإن ذلك كما سبق ينافي توحيد الله -جل وعلا- وأقل أحواله أن يكون أمراً محرماً.

فنسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم أعز الإسلام، اللهم أعز الإسلام والمسلمين.

اللهم أذل الكفر والكافرين.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ المعتدين، اللهم عليك بهم وبمن أعانهم علىٰ المسلمين.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ ومن تآمر معهم علىٰ المسلمين، اللهم عليك بهم يا قوي يا عزيز.

اللهم شتت شملهم وفرق جمعهم واجعل الدائرة عليهم، وسلط عليهم من لا يرحمهم.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فلسطين.

اللهم اجعل لهم من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ومن كل عسر يسرا، ومن كل بلاء عافية.

اللهم فرج ما نزل بهم من ضيق وكرب يا أرحم الراحمين.

اللهم إنه قد تآمر عليهم أهل الكفر فكن لهم معيناً ونصيراً، اللهم كن لهم معيناً ونصيراً، اللهم انصرهم أنت نِعم المولىٰ ونِعم النصير

اللهم أطعم جائعهم، واكس عاريهم، واشفِ مرضاهم، وعافِ مبتلاهم، وفرِّج عنهم ما نزل بهم يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين.

١٢ / ربيع الآخر/ ١٤٤٥هجرية

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع